الحديث السادس عشر

قال رسول الله ﷺ:

« إن العبدَ ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقى لها بالا ، يرفَعُه اللهُ بها درجات ، وإنَّ العبدَ ليتكلّم بالكَلمةِ من سخَطِ اللهِ لا يُلقى لها بالا يَهْوِى بها فى جهنَّم » .

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . . . إلخ ٨ / ١٢٥ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه به .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب الأمور المنهى عنها : باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان ص ٥٧٤ ، ٥٧٥ من حديث أبى هريرة به ، وعزاه إلى البخارى .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى: مختار الحسن والصحيح ص١٩٤ رقم (٦٣٧) من حديث أبى هريرة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه البخارى » .

معناه :

إذا التزم الإنسان بمنهج ربه، وحقّق فى نفسه معنى العبودية، فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ يحبه ويرضى عنه ، وإذا أحبه ربه ورضى عنه ، وفقه للخير دوما ، وسدد خطاه فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، حتى أنه ليفعل الشىء ـ أحيانًا ـ غير مفكر فى عاقبته ، فيرفعه الله به درجات ودرجات ، أما إذا تمرد على منهج ربه ، وأبى أن يكون عبدا له سبحانه ، فإن الله يبغضه ويغضب عليه ، وإذا أبغضه الحق ـ سبحانه ـ وغضب عليه خذله فى كل موقف ، وتخلى عنه فى كل شدة ، حتى أنه ليفعل الشىء ـ أحيانا ـ غير مفكر فى عاقبته ، فيهوى به فى النار دركات ، ودركات .

والحديث الذى نحن بصدده الآن يلقى ظلالا على ذلك :

إذ يبين النبىﷺ فيه : أن العبد المحظى برضوان الله موفق ومسدد ، إلى حدّ أنه يتكلم بالكلمة ـ أحيانا ـ لا يعيرها اهتماما ، ولا يفكر فى عاقبتها ، ثم هى مع ذلك تكون سببا فى رفعه عند الله ـ عز وجل ـ درجات، وأن العبد المغضوب عليه من ربه، مخذول ومؤاخذ إلى حد أنه يتكلم بالكلمة ـ أحيانا ـ لا يعيرها اهتماما ، ولا يفكر فى عاقبتها ، ثم هى مع ذلك تكون سببا فى هويه فى النار دركات . وهكذا يتجاوز رب العزة عن بعض هفوات وزلات المرضى عنه إلى حد أنه يرفعه بها درجات ، ويؤاخذ ويعاقب المغضوب عليه فى كل ما يصدر عنه حتى الهفوات البسيطة إلى حد أنه يلقيه بها فى النار دركات .

وإليك بعض النصوص فى فضيلة الصمت وحفظ اللسان :

قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق] ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴾ [المؤمنون] ، ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) ﴾ [الفرقان] ، ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾ [القصص] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبىﷺ قال : « . . . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » [١] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، وباب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه . . . إلخ ٨ / ١٣ ، ٣٩ ، وفى الرقاق : باب حفظ اللسان . . . إلخ ٨ / ١٢٥ من حديث أبى هريرة ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار . . . إلخ ١ / ٦٨ رقم (٧٤)، وأبو داود فى : السنن: كتاب الأدب : باب فى حق الجوار ٤ / ٣٣٩ رقم (٥١٥٤) ، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٣٠٩] ، وفى البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨/ ١٤٥] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب كف اللسان فى الفتنة ٢ / ١٣١٣ رقم (٣٩٧١) بلفظ : « أو ليسكت » ، والدارمى فى : السنن : كتاب الأطعمة : باب فى الضيافة ٢/ ٩٨، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٤١٢ .

وعن أبى موسى ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أى المسلمين أفضل ؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده » (١) .

وعن أبى هريرة ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » (٢) .

وعن أبى عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » (٣) .

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، ولْيَسَعْكَ بيتك ، وَابْكِ على خطيئتك » (٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « إذا أصبح ابن آدم ، فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان ، تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » (٥) . إلى غير ذلك من النصوص .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان تفاضل الإسلام وأى أموره أفضل ١/ ٦٦ رقم (٤٢)، والبخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان :باب أى الإسلام أفضل ؟ ١ / ١٠ بلفظ : « أى الإسلام أفضل . . . » ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى الهجرة هل انقطعت ؟ ٣/ ٤ رقم (٢٤٨١)، والترمذى فى: السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٣١٠]، وفى الإيمان [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠/ ٩٣ ـ ٩٥]، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب أى الإسلام أفضل ؟ ٨ / ١٠٦ ، ١٠٧، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق : باب فى حفظ اللسان ٢/ ٢٩٩، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ١٨٧، ١٩١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد : باب التكلم بالكلمة يهوى بها فى النار . . . إلخ ٤/ ٢٢٩٠ رقم (٢٩٨٨) من حديث أبى هريرة ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٧٩ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ١٩٧]، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن : باب كف اللسان فى الفتنة ٢ / ٣١٣ رقم (٣٩٦٩)، ومالك فى : الموطأ ص ٦٠٩ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٢٤٧]، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٤٨ ، ١٥٨ ، ٥ / ٢٥٩ بلفظ متقارب .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/ ٢٤٧، ٢٤٨] ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٩٦ .

وتكفير الأعضاء للسان: كناية عن تنزيلها له منزلة الكافر بالنعم، أو المراد: خضوعها وانقيادها له.

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ الحرص على استجلاب رضوان الله ومحبته ، لما يترتب على ذلك من توفيق الله ، وتسديده لعبده ، وعفوه عن كثير من هفواته وزلاته ، بل وإثابته عليها . وسبيل استجلاب هذا الرضوان ، وتلك المحبة الالتزام بمنهج الله والتفانى فى طاعته والابتعاد عن معصيته .

٢ ـ ضرورة التفكر فى عاقبة الكلمة قبل النطق بها ؛ إذ ربما تكون مما لا يرضى به الله ، فتردى صاحبها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب .

٣ ـ حفظ اللسان وصونه إلا عن خير ، ويساعد المسلم على ذلك :

* أن يتذكر أنه إحدى العلامات الدالة على صدق الإيمان وقوة اليقين .

* وأن يتذكر أنه يكون سببا فى دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم .

* وأن يتذكر أن كلمة واحدة غير محسوبة ولا منضبطة ، قد تجر عليه وعلى قومه ويلات وويلات ، فضلا عن أنها تكون سببا فى دخوله النار دهورًا وأحقابا .

* وأن يتذكر أن كثرة الكلام بغير مصلحة، تقسى القلب، وأن أبعد الناس من الله القلب القاسى .

* وأن يتذكر أن اللسان هو مفتاح استقامة الجوارح أو اعوجاجها ، فإن استقام استقامت ، وإن اعوج اعوجت .

obeikandl.com

الحديث السابع عشر

قال رسول الله ﷺ :

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الإسلامِ إذا فَقُهُوا ، والأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ ، فما تعارَفَ منها ائتلفَ ، وما تناكَر منها اختلف » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب الأرواح جنود مجنّدة ٤ / ٢٠٣١ ، ٢٠٣٢ رقم (٢٦٣٨) من حديث أبى هريرة به ، غير أنه قال : « كمعادن الفضة والذهب » بدل : « كمعادن الذهب والفضة » .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٦ / ٣٧ رقم (٦٦٧٣) من حديث أبى هريرة به .

معناه :

يؤمن الإسلام بأن العدّة فى إيقاظ همة الحاضرين هى أن نحدوهم بأمجاد ومفاخر الماضين ؛ لذا رأيناه لا يتنكر لما للناس من أمجاد ومفاخر ، بل يبقى عليها ويرفع من قدرها شريطة أن تحاط بفقه فى دين الله يجعلها دافعا للتواضع والتآلف والترابط ، وليس التعالى والتقاطع والتدابر . والحديث الذى بين أيدينا الآن تصوير دقيق لهذا المعنى ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ : أن الناس معادن متابينة كمعادن الذهب والفضة ، منهم من له أمجاد ومفاخر ماضية توقظ همته، وتحرك إرادته، وتحمله على التضحية بالغالى والنَّفيس ولاسيما فى ساعات المحن والشدائد، ومنهم من لا يملك من هذه الأمجاد وتلك المفاخر شيئا، فهمّته نائمة وإرادته ساكنة، كما يخبر أن أصحاب الأمجاد والمفاخر الماضية فى مقدورهم الاحتفاظ بأمجادهم ومفاخرهم حتى بعد إكرام الله لهم بالإسلام ، شريطة أن يكون هناك فقه فى دين الله ـ عز وجل ـ يحميهم من الغرور والتكبر والتعالى على الجماعة المسلمة ، ويحملهم فى نفس الوقت على التواضع ،

والتآلف ، والتوادّ ، فيقول : « خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وإليك :

أولا : بعض النصوص الواردة فى فضل الفقه فى دين الله والحث عليه :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ [التوبة] ، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ، ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[البقرة : ٢٦٩]

ويقول النبى ﷺ: « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » [1] .

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها » [2] .

---

(١)جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل ١/٢٧، وفى الخمس: باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ ٤/١٠٣، وفى الاعتصام: باب قول النبى ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم » ٩ / ١٢٥ من حديث معاوية ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق » ٣ / ١٥٢٤ رقم (١٠٣٧) ، وفى الزكاة : باب النهى عن المسألة ٢ / ٧١٨ رقم (١٠٣٧) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠ / ١١٤] ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٠ رقم (٢٢٠) من حديث أبى هريرة، ومعاوية ، والدارمى فى : السنن : المقدمة : باب الاقتداء بالعلماء ١ / ٧٤ ، وفى الرقاق : باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ٢ / ٢٩٧ من حديث معاوية ومن حديث ابن عباس ، ومالك فى: الموطأ ص ٥٦١، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠٦، ٢ / ٢٣٤، ٤ / ٩٥، ٩٨، ١٠١ .

(٢)الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح كتاب العلم : باب الاغتباط فى العلم والحكمة ١ / ٢٨ ، وفى الزكاة : باب إنفاق المال فى حقه ٢/ ١٣٤ ، وفى فضائل القرآن : باب اغتباط صاحب القرآن ٦/٢٣٦ ، وفى الأحكام : باب أجر من قضى بالحكمة ٩ / ٧٨ ، وفى التمنى : باب تمنى القرآن والعلم ٩/١٠٤، وفى الاعتصام: باب ما جاء فى اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى ٩ / ١٢٦ ، وفى التوحيد: باب قول النبى ﷺ: « رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به . . . إلخ » ٩ / ١٨٩ بألفاظ وطرق مختلفة، وأخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه . . . إلخ =

« العلماء ورثة الأنبياء »(١) .

« ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »(٢) .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم »(٣) . إلى آخر هذه النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى فضل الألفة فى الله والحث عليها :

يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

ويقول النبى ﷺ :

« المؤمن إلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف »(٤) .

« ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار »(٥) .

« إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم

= ٥٥٨/١ رقم (٨١٥) ، والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٢١/٨]، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الحسد ٢ / ١٤٠٧ رقم (٤٢٠٨) ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٨٥ ، ٤٣٢ ، ٢ / ٩ ، ٣٦ ، ٨٨ .

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى:الصحيح : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل . . . إلخ ١ / ٢٦ بلفظ : « وأن العلماء هم ورثة الأنبياء » ، وأبو داود فى : السنن : كتاب العلم : باب الحث على طلب العلم ٣ / ٣١٧ رقم (٣٦٤١) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١ / ١٥٥] ، وابن ماجه فى : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١ رقم (٢٢٣) ، والدارمى فى : السنن : المقدمة : باب فى فضل العلم والعالم ٩٨/١، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ١٩٦ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب العلم [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٥٤/١] ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ رقم (٢٢٢) .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى:السنن:المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ رقم (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك ، وأورده ابن عبد البر فى : جامع بيان العلم وفضله ١ / ٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٠٠ بلفظ متقارب .

(٥) سبق تخريجه ص ٦٨ .

وقربهم من الله ـ عز وجلّ ـ يوم القيامة » ، فقام أعرابى من قاصية الناس ، فقال : انعتهم لنا يا رسول الله ، حتى نعمل بأعمالهم ، فَسُرَّ النبىﷺ لسؤال الأعرابى ، وأشرق وجهه ، ثم قال : « هم قوم من أفنان الناس ، ونوازع القبائل ، لم تجمع بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا فى الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، ثم يجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يحزن الناس يوم القيامة ولا يحزنون ، ويفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وأولئك هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) . إلى غير ذلك من النصوص .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ أهمية الفقه فى دين الله ـ عز وجل ـ إذ به يستطيع المسلم أن يقطع الطريق على الشيطان ، ويصون نفسه من الزلل ، ويتحرر من كل خُلق قبيح أو مرذول .

٢ ـ أن الفقه فى الإسلام سجية ، وخلق لازم للمسلم يدرك به أسرار ، وخصائص المنهج الإلهى ، وعليه فطريقه ليست كامنة فقط فى حفظ مسائل العلم ، وحشو الذاكرة بها ، بل لابد أن يضم إليها : التزام دقيق بالإسلام ، وسهر بالليل ، وظمأ بالنهار ، وتنزه عن الشبهات ، بل وعن المباحات التى تخدش المروءة ، « من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم » (٢) .

٣ ـ أن إلف المؤمنين ومحبتهم دليل على اعتدال الفطرة ، ونقاء السريرة ، وأن بغضهم ومقاطعتهم بل ومحاربتهم دليل على خبث النيّة ، وسوء الطويّة .

٤ ـ أن عدتنا فى إيقاظ همم الحاضرين أن نحدوهم ونذكرهم بأمجاد ومفاخر الماضين .

٥ ـ أن الإسلام لا يرفض أمجاد ومفاخر الماضين ، بل يحترمها ويبقى عليها مشترطا أن تقترن بفقه يحميها من الانحراف أو الاعوجاج .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٣٤٣ .

(٢) أورده العلجونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٣٤٧ . وقال : « رواه أبو نعيم عن أنس » . وقد أشار فضيلة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة إلى أنه من كلام عيسى ابن مريم . رسالة المسترشدين للمحاسبى ص ١٠٠ .

الحديث الثامن عشر

قال رسول اللهﷺ :

« الذى يخالطُ الناسَ ويصبرُ على أذاهُم ، أعظمُ أجرًا منَ الذى لا يخالط الناسَ ولا يَصْبِر على أذاهم » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب القيامة [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩ / ٣١٢] باختلاف فى اللفظ .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٨ رقم (٤٠٣٢) من حديث ابن عمر قال : قال رسول اللهﷺ : « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

ورواه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٣ ، ٥ / ٣٦٥ .

وأورده السيوطى فى : الجامع الصغير ٦ / ٢٥٥ بهامش فيض القدير من حديث ابن عمر به ، وعزاه إلى أحمد فى المسند ، والبخارى فى الأدب ، والترمذى وابن ماجه فى السنن .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ٣٧٨ رقم (١٤٢٨) به وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد » .

معناه :

يشهد الواقع الذى نعيشه ـ نحن البشر ـ أن الإنسان بمفرده لا يستطيع أن يلبى كل مطالبه ، ويوفر سائر حاجياته ، وأبسط مثال على ذلك : رغيف الخبز ، فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات ، بل مئات من البشر ، تعاونت على تجهيزه ، وإعداده ، وتقديمه ، ومن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه فى تحصيل هذا

الرغيف ـ الصغير فى حجمه ، البسيط فى مكوناته ـ فإنه سيموت ، أو سيشرف على الموت قبل أن يحصل عليه ، وإذا كانت حال الإنسان كذلك فى أمر سهل هيّن كرغيف الخبز ، فكيف لو كان مكلفا من قبل ربّه :

ـ أن يقيم دينه فى نفسه ، حتى توجد الشخصية الإسلامية الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبيه على كل خصال الشر ، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره :

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر] .

ـ وأن يدعو غيره إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، بحيث تستخلص العناصر الجيّدة الصالحة ، المستعدة للتضحية والبذل ، والفداء ، فيكثر بها سواد المسلمين .

ـ وأن يجاهد الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، بحيث تظل الراية الإلهية عالية خفاقة فى العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) ﴾ [التوبة ، والتحريم : ٩] .

ـ أن كل هذه التكاليف توجب وتحتم على الإنسان المسلم أن يعيش مع آخرين يعينونه ، ويؤيدونه ، ويؤازرونه فى سبيل تحقيقها ، وذلك ما نطق به الحديث الذى معنا الآن ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ أن الذى يعيش مع الناس ، ويتحمل أذاهم ، أعظم أجرا ، وأكثر نفعا ، من ذلك الذى يعيش منفردا مؤثرًا السلامة ، والعافية .

وإليك :

أولا : بعض النصوص الواردة فى فضل مخالطة الناس والحث عليها :

يقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة : ٢]

ويقول النبى ﷺ : « ألا أخبركم بخير الناس ؟ رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، ألا أخبركم بالذى يتلوه ؟ رجل معتزل فى غنيمة له يؤدى حق الله فيها ، ألا أخبركم بشر الناس ؟ رجل يسأل بالله، ولا يعطى به » (١) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى :السنن : كتاب فضائل الجهاد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٧/ ١٥٥]، والنسائى فى: السنن: كتاب الزكاة: باب من يسأل بالله ـ عز وجل ـ ولا يعطى به ٥/ ٨٣، والدارمى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب أفضل الناس رجل يمسك برأس فرسه فى سبيل الله ٢/ ٢٠١، ومالك فى : الموطأ ص ٢٧٦ .

وسئل ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله » قالوا : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ، ويدع الناس من شره » (١) .

وجاء : أن رجلا مالت نفسه إلى العزلة ، فسأل النبى ﷺ عنها ، فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » (٢) . إلى آخر هذه النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى العزلة وموقف العلماء منها :

هذا وقد وردت نصوص أخرى ترغب فى العزلة والبعد عن الناس مثل :

قوله ﷺ : « إن الله يحب العبد التقى ، الغنى ، الخفى » (٣) ، « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » (٤) ، « من خير معاش الناس لهم . . . أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويعبد ربّه

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ٤ / ١٨ عن أبى سعيد الخدرى ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والرباط ٣ / ١٥٠٣ رقم (١٨٨٨) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل من يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله ٦ / ١١ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العزلة ١٣١٦/٢، ١٣١٧ رقم (٣٩٧٨) ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٣٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٧ / ١٥٤] .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٧٧ رقم (٢٩٦٥) ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ١٦٨ ، ١٧٧ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب من الدين الفرار من الفتن ١/ ١١، وفى الفتن : باب التعرب فى الفتنة ٩ / ٦٦ من حديث أبى سعيد الخدرى ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الفتن والملاحم : باب ما يرخص فيه من البداوة فى الفتنة ٤ / ١٠٣ رقم (٤٢٦٧) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب الفرار بالدين من الفتن ٨ / ١٢٣، ١٢٤ ، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الفتن : باب العزلة ٢ / ١٣١٧ رقم (٣٩٨٠) . ومالك فى : الموطأ ص ٦٠١ ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٦ ، ٤٣ ، ٥٧ .

حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير » (١) ، « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » (٢) . . . إلخ .

وبناء على ذلك اختلف العلماء : أيهما أفضل : العزلة أو الاختلاط ؟ فذهب فريق إلى أن العزلة أفضل ، واستدلوا بالأحاديث الأخيرة التى ترغب فى العزلة وترفع من شأنها .

وذهب جمهور العلماء إلى أن الاختلاط أفضل بشروط :

١ ـ سلامة الدين من الفتن .

٢ ـ وسلامة الناس منه ومن شرّه .

٣ ـ والصبر على أذى الناس وشرّهم .

واستدلوا بالنصوص المذكورة أولا، المبيّنة لفضل الخلطة، والحاضّة عليها، وأجابوا عن النصوص الداعية إلى العزلة : بأنها محمولة على الاعتزال فى زمن الفتن ، والحروب، أو فيمن لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص .

والذى أميل إليه هو الرأى الثانى ، فقد كان الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وجماهير الصحابة ، والتابعين ، والعلماء ، والزهاد مختلطين ، رجاء تحصيل منافع الاختلاط ، كشهود الجمعة ، والجماعة ، والجنائز ، وحِلق الذِّكر ، ودعوة الناس إلى المعروف ، ونهيهم عن المنكر ، والجهاد ، والمشورة . . . إلخ .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة الاختلاط بالناس ، ولزوم الجماعة ، شريطة ألا يؤدى ذلك إلى ضرر فى الدين ، أو فى النفس ، أو العرض ، أو المال ، أو النسل ، سواء كان ذلك الضرر واقعا عليه أو واقعا منه ، ويعين على الاختلاط :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والرباط ٣/١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم (١٨٨٩) من حديث أبى هريرة ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العزلة ٢/١٣١٦ رقم (٣٩٨٠).

(٢) سبق تخريجه ص ٩١ .

* معرفة الفوائد والمنافع التى تعود عليه من وراء الاختلاط ولزوم الجماعة .

* وأنه أمر الله ورسوله ، ومنهج السلف ، وما عليه إلا أن يمتثل ويقتدى .

٢ ـ حمل النفس وتعويدها الصبر على أذى الناس ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** (١٧) ﴾ [لقمان] .

٣ ـ جواز العزلة والبعد عن الناس إذا كثرت الفتن ، وانتشر الشر والفساد ، وعجز عن الإصلاح ، بل وخاف على دينه ، وعلى نفسه .

obeikandl.com

obeikandl.com

الحديث التاسع عشر

قال رسول الله ﷺ :

" يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلقُ أقتاب بطنه ، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ فى الرّحا ، فيجتمع إليه أهلُ النار ، فيقولون : يا فلان ، مالك ؟ ألم تكنْ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقولُ : بلى ، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكرِ وآتيه "

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ٤ / ١٤٧ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٤/ ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ رقم (٢٩٨٩)، وأحمد فى : المسند ٥ / ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ، ٢٠٩ من حديث أسامة بن زيد ﷺ به .

وأورده النووى فى : رياض الصالحين : باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله ص ١٠٦ ، ١٠٧ رقم (١٩٨) من حديث أسامة بن زيد به ، وعقّب عليه بقوله : « متفق عليه » .

معناه :

ينظر الناس إلى المسلم الداعية على أنه إنسان هانت عليه نفسه ، فجاهدها فى ذات الله حتى استخرج حظ الشيطان منها ، فلم يعد له عليها سلطان ، بل لم يعد لنفسه حظّ من نفسه ؛ لذلك تراهم يتأثرون بسلوكه وفعاله أضعاف أضعاف ما يتأثرون بكلماته وأقواله .

من هنا وجب أن يتحرى الداعية الدقة ، والصدق ،والأمانة فيما يأتى وفيما يدع ، بل لابد أن يكون سلوكه صورة تطبيقية لقوله ، وإلا فإن الناس سيحاكونه ، ويقتدون بأفعاله ، ناسين أو متناسين أقواله ، فيتحمل أثقاله ، وأثقالا مع أثقاله .

والحديث الذى نحن بصدده ـ الآن ـ تصوير دقيق وواضح لمصير صنف من الدعاة سيطرت عليه شهوة الكلام ، دون أن يصاحب ذلك سلوك طيب حميد . إن مصير هؤلاء يوم القيامة: أن تأتى بهم الزبانية موثقين بالأغلال ،ثم تلقى بهم فى النار ، فإذا بهم من شدّة وهول ما رأوا ، وما لاقوا تنهار أعصابهم ، وتتفكك أوصالهم ، وتخرج أمعاؤهم من بطونهم،فيدورون بها ـ والعياذ بالله ـ كما يدور الحمار فى الرّحا ، وهنا يجتمع عليهم أهل النار ، ويخاطبونهم فى استغراب وتعجب : مالكم يا قوم ؟ أى جرم ارتكبتم ؟ وأى ذنب اقترفتم ؟ وأنتم علماؤنا وأئمتنا ، كنتم تأمروننا بالمعروف ، وتنهوننا عن المنكر فيجيبونهم : حقا ، كنا نأمركم بالمعروف ، وننهاكم عن المنكر ، بيد أننا حرمنا أنفسنا من الخير ؛ إذ ما كنّا نأتى بالمعروف والذى نأمر به ، وأقبح من هذا : كنا نأتى المنكر الذى ننهى عنه ، وهكذا يفضحون على رؤوس الأشهاد جزاء استهتارهم بمنهج الله وتلاعبهم به دونما أدب أو استحياء .

بعض النصوص الواردة فى شأن من يخالف قوله فعله :

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ [الصف] ، ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)** ﴾ [البقرة] ، ويقول سبحانه حكاية عن شعيب عليه السلام : ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود : ٨٨]

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال : قلت: من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء أمتك من أهل الدنيا ، ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون »(١) .

« إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار ، فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل »(٢) . . . إلى آخر هذه النصوص .

---

(١) أخرجه أحمد فى : المسند ٣ / ١٢٠ ، ١٨٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ من حديث أنس .

(٢) ورد فى : الفتح الكبير ١ / ٣٧٦ عن الوليد بن عقبة ، وعزاه إلى الطبرانى .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة أن يكون سلوك المسلم ـ لاسيما ذلك الذى يتصدى لدعوة الناس ـ مطابقا لقوله ، وإلا ضلّ وأضلّ ، فيحمل أوزاره وأوزارًا مع أوزاره . ويعينه على ذلك :

* أن يتذكر العقاب الذى ينتظره فى الآخرة على النحو الذى تضمنه الحديث .

* وأن يتذكر فضيحته ، وانكشاف ستره على رءوس الأشهاد .

٢ ـ ضرورة أن يعمل المسلم بكل ما يبلغه من أمر أو نهى ، حتى لو قَصَّرَ الآمر والناهى ؛ لأن تقصيره على نفسه : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)** ﴾ [المدثر] ، ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧] ، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)** ﴾ [النجم] .

٣ ـ ضرورة اتقاء النار ولو بشقّ تمرة ؛ فإن عذابها شديد ، ويبلغ من شدّته : أنه يؤدى إلى انهيار الأعصاب ، وتفكك المفاصل ، وخروج الأمعاء فى صورة مزرية قبيحة .

obeikandl.com

obeikandl.com

الحديث العشرون

عن أبى أمامة رضي الله عنه أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ : ما الإيمانُ ؟ قال : « إن سرَّتكَ حسنتُك ، وساءتك سيئتُك ، فأنت مؤمن » ، قال : يا رسول اللَّهِ ، فَما الإثم ؟ قال : « إذا حاكَ فى نفسكَ شىءٌ فدعه » .

تخريجه :

الحديث أخرجه المناوى فى : فيض القدير ٦ / ١٥٣ من حديث أبى أمامة وعمر به ، وعزاه إلى الطبرانى فى المعجم ، وإلى النسائى فى السنن الكبرى ، وإلى أحمد فى المسند ، ثم عقّب على رواية الطبرانى بقوله : « قال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح » ، وعلى رواية النسائى بقوله : « قال الحافظ العراقى فى أماليه : صحيح على شرط الشيخين » ، وعلى رواية أحمد بقوله : « قال ـ أعنى العراقى : حديث صحيح » ا . هـ .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ٣٧٥ رقم (١٤١٨) من حديث أبى أمامة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد » .

معناه :

يتميز المؤمن الصادق الإيمان بأنه يملك حاسة إيمانية دقيقة مرهفة ، تنبسط وتنشرح لفعل الطاعات حيث تصله بربّه ، وتنقبض وتضيق لفعل المعاصى والسيئات حيث تقطعه عن ربّه ، بل ويستقر فيها البر ، وتطمئن وتركن إليه ، ويتردد فيها الإثم وتقلق وتعرض عنه ، والحديث الذى بين أيدينا ـ الآن ـ يشرح ذلك بوضوح وجلاء ؛ إذ فيه يخبر النبى ﷺ من سأله عن الإيمان ، بقوله : المؤمن الكامل الإيمان الصادق فيه : هو الذى إذا فعل حسنة سرّته سرورا يحمله على مضاعفة جهده ، والذى إذا اقترف سيئة ساءته سوءًا يحمله على التوبة ، والندم ، والإقبال على الله .

كما يخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ نفس السائل الذى عاد يسأله ﷺ عن علامة الإثم ، بأنه الذى يتردد فى النفس ، وتضيق به ، ولا تركن إليه ، والواجب على

المسلم فى هذه الحال ، هو الإقلاع ، والابتعاد حتى يعيش آمنا مطمئنا .

وهاك :

بعض النصوص والآثار الأخرى الواردة فى معنى الحديث :

يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝﴾ [الشمس]، ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ [البلد] ، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ ﴾ [الإنسان] ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [آل عمران] .

ويقول النبى ﷺ:

« إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فقال به هكذا ، فطار »[١] .

« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »[٢] .

ولما أفشى أبو لبابة الأنصارى سرَّ رسول الله ﷺ ـ وهو يشير على يهود بنى قريظة ـ أدرك خطورة الذنب الذى وقع فيه ، فحلف : لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة ، فربط نفسه فى سارية منه ، فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخرّ مغشيا عليه من الجهد ، حتى أنزل الله توبته على رسوله ، فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه ، وأرادوا أن يحلّوه من السارية فحلف : لا يحلّه منها إلا رسول الله ﷺ بيده ، فحلّه . . .[٣] .

وكذلك كان جميع السلف : إذا أحسن الواحد منهم فرح ، وأشرقت نفسه ،

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب التوبة ٨/٨٣، ٨٤ من حديث عبد الله ابن مسعود ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٣٠٨] ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٨٣ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تفسير البر والإثم ٤ / ١٩٨٠ رقم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان الأنصارى ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/٢٣٤] ، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق: باب فى البر والإثم ٢ / ٣٢٢ ، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٨٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ / ١٨٦ ـ ١٨٨ ، ط الريان ، والبداية والنهاية ٤ / ١١٩ ، ١٢٠ .

وانشرح صدره ؛ لأن الله وفقه للطاعة ، ثم يتابع نشاطه أكثر وأكثر ، وإذا أساء الواحد منهم حزن ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ، وامتنع عن الطعام، والشراب، وسائر اللذائذ ، والمتع الحسية ، وجد واجتهد ليمحو ما وقع منه ، ويظل هكذا حتى يدرك أنه أرضى ربّه ، فيعود إلى حاله الأولى .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ أن المؤمن ـ الكامل الإيمان ، الصادق فيه ـ يسرّ لفعل الحسنات ، فيكون ذلك حافزا له على مضاعفة جهده ، ويحزن لفعل المعاصى والسيئات ، فيبادر بالتوبة والندم والرجوع إلى ربه ، بيد أنه إذا أدى به السرور والفرح إلى الغرور والعجب والتكبر ، والقعود عن العمل ، فقد خسر خسرانًا مبينا ، وإذا أدى به الحزن إلى الأسى واليأس والقنوط من رحمة الله ،فقد ضلّ وكفر : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** (٥٦) ﴾ [الحجر] . ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧) ﴾ [يوسف] .

٢ ـ تضمّن الإسلام لمصادر ووسائل إلزامية تحمل على احترام منهج الله بصورة لا توجد فى أى نحلة أو مذهب آخر ، ومن بين هذه الوسائل : الفطرة التى تميز بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين البر والإثم ، فتطمئن وتستريح للأول ، وتضطرب وتقلق للثانى. هذا إذا كانت معتدلة لم يمل بها صاحبها ، وإلا ختم عليها، وتبلّدت ، واستوى عندها البر والإثم .

آخر الجزء الأول ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى الجزء الثانى ، وأوله : حديث : « مَنْ فارق الجماعة شبرًا ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه ، والمقتدين بهديه ، والداعين بدعوته إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com